فى البيوت

—

يحدث أحيانا أن نلاحظ على ربة البيت أنها ترسل الخادم فى شراء اللحم والخضراوات ثم تعود فترسله لشراء ما قيمته مليم من المقدونس لأنها نسيت أن تنبهه الى شرائه . ويتكرر مثل هذا النسيان منها ومثل هذه المشاوير المتعبة للخادم أو الخادمة، بل يتكرر مثل هذا الوقت المضيع منها ومن الخادم . فان شراء قطعة من الجبن أو مقدار من الزيت أو الحلوى يحتاج الى جملة مشاوير متكررة يذهب فيها وقت الخادم الذى كان يجب أن ينفقه فى تنظيف البيت أو فى الطبخ أو فى أى عمل مفيد آخر . وفى بعض البيوت لا يكاد الخادم يهدأ عن قطع المسافات بين البيت وبين السوق فى شراء الثمين والتافه من المأكولات أو من لوازم البيت الأخرى .

وليس البيت متجرا حتى نطلب من ربته أن "تمسك دفترا" وإن كان كثير من البيوت الأوربية والأمريكية يفعل ذلك الآن . ولكن كثيرا من الوقت والجهد العصبى والعضلى يمكن الاقتصاد فيه وتوفير الراحة والمتعة لجميع سكان البيت إذا عمدت ربة البيت فى الصباح فكتبت فى ورقة صغيرة جدولا بكل ما ستحتاج اليه طول النهار مما تهيأ به الوجبات الثلاث غير بعض اللوازم الأخرى . ثم بعد ذلك تناقش الخادم نحو ثلاث دقائق فيما يمكن شراؤه من هذا الجدول فى شارع معين أو شارعين قريبين، وهى حين تفعل ذلك يتوافر لها عمل الخادم فى البيت ويزول ذلك القلق الذى يبعثها على العجلة وعلى شراء "الموجود" مما قد لا يكون خير ما يجب شراؤه . ولكن إلحاح الساعة يجعلها تتسامح .

إننا نرى أن كثيرا من السيدات الأجنبيات فى القاهرة يخرجن فى الصباح الى دكاكين البقالة فيشترين خليطا متعدد الأصناف من اللحم والخضراوات والفواكه والخبز ويعدن بكل هذا وهو على ما يبدو من تعدد أصنافه يكفى استهلاك النهار كله . ويمكن سيداتنا أن يكتبن جميع حاجات البيت فى ورقة فى الصباح يشتريها الخادم جملة حتى لا يتكرر خروجه طول النهار.

ومما يجدر ذكره بشأن الخدم أننا نرى هندامهم على غير ما نحب . وتزيد هذه الظاهرة وضوحا عند ما يكون الخادم أو الخادمة من الفلاحين فاننا نسترخص أجورهم ونستكثر منهم ونأتى بهم صغارا لا تتجاوز أجرة الصبى أو الصبية ٣٠ أو أربعين قرشا وهم بالطبع يجهلون الخدمة ويحتاجون الى التعلم ويضيق صدر ربة البيت وأولادها فى تعليم هؤلاء الصغار. ولذلك كثيرا ما يلجأ أحدهم الى الشتم والضرب . وهم معذورون ، كما أن الخدم أيضا معذورون. فإن مستوى النظافة الذى نشأ عليه الصبى الفلاح أو الصبية الفلاحة هو دون المستوى الذى

تطبه عائلة تعيش فى القاهرة ، وليست النظافة مع ذلك كل ما يختلف عليه أعضاء العائلة مع خدمهم الفلاحين لأن سائر الأقيسة المدنية مختلفة . ومن هنا المواقف التى يستفز فيها الغضب فإن الأولاد يشتمون الخادم أو يضربونه . وهم زيادة على الأذى الذى يوقعونه به يؤذون أنفسهم بتعودهم العنف فى المعاملة .

وخير لنا جميعا أن نستغنى عن هؤلاء الخدم الصغار من الفلاحين . والخادمة الرشيدة المسنة هى زيادة على عرفانها ودربتها تنتزع من أعضاء البيت احتراما فيسود البيت جو من الهدوء يخلو من السباب والضرب و ينشأ الأولاد على أسلوب من الأخلاق ينتفعون به مدى حياتهم .

ومن أعظم الفروق التى ينفصل بها البيت المصرى من البيت الأجنبى نظافة المطبخ . فإننا حين نلاحظ غرفة المطبخ فى بيت أجنبى نجد ستارة رقيقة على الزجاج ونجد قصرية أو قصريات قد نضر فيها الزرع واشتعلت فيها ألوان الزهر ، ونجد الآنية من الألومينيوم الخفيف الذى لا يثقل على التناول كما تثقل علينا آنية النحاس . والألومينيوم لا يحتاج الى المبيض لكى يكسوه بالقصدير من وقت لآخر ، ونجد التوابل والمنبهات مهيأة كل منها فى علبة قد كتب عليها اسمها . أما مطبخنا فليس كذلك مع الأسف حتى الخزانات التى تحفظ فيها بعض الأطعمة ليست محكمة ولذلك تروح الصراصير وتغدو عليها . وفضلات الطعام تترك لكى تأكل منها هذه الحشرات وتمو وتتكاثر مع أن الحكومة قد وضعت لنا مستودعات للزبالة .

ومن بعض العادات التى لا تزال تتفشى فى جميع البيوت الفقيرة تقريبا وفى بعض البيوت المتوسطة تربية الدجاج والأرانب والأوز والبط حتى يستحيل البيت إلى " دوار " . وكثيرا ما مرت بنا ظروف رأينا أننا نستيقظ فيها فى الصباح بصياح الديكة فى منازل الجيران . وفى مدينة مكتظة بالسكان مثل القاهرة تعد تربية هذه الحيوانات خطرا على الصحة العامة لأن برازها يجذب الذباب ، ولأن تربيتها تحتاج إلى توفير الطعام لها ، وهو فى العادة مما يتخلف من المطبخ . والبيت فى الريف بما له من سعة وفناء معرض للشمس يتحمل مثل هذه التربية للدجاج وغيره . ولكن بيوت القاهرة تضيق بها . وزيادة على ما تحدثه تربية الدجاج من إزعاج عام فى الليل والنهار تكون سببا لقذارة لا حد لها تعود بأسوأ النتائج على الصحة العامة . وبحسب ربة البيت أن تقنع بشراء ما ترغب من فراخ أو غيرها لاستهلاك اليوم فقط . وتترك التربية لمن يستطيعون ذلك من الريفيين .

وجمال البيت فى نظامه . ولا يمكن أن تؤدى الفوضى إلى راحة أو سعادة . ولذلك ليس من الحسن أن يستهان بالنظام . فإن الطعام مثلا يجب ألا يؤكل إلا على المائدة . لأن كل شىء فى غرفة المائدة مهيأ لأن ينظف . فالكراسى كاسية بالجلد أو المشمع وكلاهما يمسح بل يغسل بالصابون . فلا يؤثر عليه الطعام بدسمه . وكذلك المائدة تغطى بالمشمع أو

بالقماش وكلاهما ينظف. أما حين ينقل الطعام إلى غرفة النوم أو الجلوس فإنه يلوث الأثاث تلويثا لا يسهل تنظيفه منه . فاذا أصرت ربة البيت على ألا يوضع الطعام إلا على المائدة وعلى ألا يأكل أحد إلا فى غرفة المائدة فإن إصرارها هذا يعمم النظام فى المنزل و يوفر النظافة و يقى الأثاث من الابتذال .

وما دمنا فى صدد المائدة فإننا يجب أن نذكر ربة البيت بضرورة التطور فى تهيئة الطعام فان طعامنا كثير السوائل التى لا تسهل معها نظافة التناول ورشاقته . وكيف يمكن مثلا أن نأكل الملوخية ونحرص مع ذلك على نظافة قماش المائدة ولا نقول نظافة ملابسنا" والطهى الأوربى يمتاز هنا ميزات متعددة . فإنه قليل السوائل قليل الدسم قليل التوابل . نستطيع أن نتناوله فى نظافة دون أن نرتبك . كما أن قلة دسمه تجعلنا ننهض ونحن متخففين فى نشاط لا نحسه حين نأكل أطعمتنا الدسمة التى تثقلنا خمولا بل نعاسا . ومن أسوأ ما نجد فى مائدتنا تلك الألوان التى يكثر فيها البصل والثوم ، مما يجعل الأنفاس كريهة بضع ساعات بعد تناول الطعام . وليس من أخلاق المتمدنين أن تكون أنفاسهم كريهة بمثل هذه التوابل التى يمكن الاستغناء عنها إلا أقلها .

والمائدة المصرية تعتمد على المطبخ المصرى . وهو الذى يحتاج الى الاصلاح من حيث تغيير الطبخ . فان الطبخ التركى لا يزال هو الطريقة العامة لتهيئة الطعام . وهو كثير الدسم كثير اللحوم . وما يقدم للفرد عندنا وقت الغذاء من الطعام يكفى لثلاثة أو أربعة من الانجليز أو الأمريكيين الذين يقنعون بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم مع السلاطة و يقومون خفافا إلى العمل فى حين نتكفئ نحن بعد الغذاء إلى السرير لثقل ما تحمل من طعام دسم كثير .

إننا نريد بيتا متمدنا . ولا يمكن التمدن مع هذه الأحوال التى نعيش فيها من مطبخ قذر إلى تربية للدجاج ، الى استخدام صبيان الريف ، الى حشد المائدة بألوان من الطعام الدسم المتـــوبل .